الامتداد الناعم للقُوى الصاعدة في إفريقيا: إيران أنموذجًا

مـراد شحماط*

ملخص: بعد انهيار الاتحاد السوفياتي تربعت الولايات المتحدة الأمريكية على عرش النظام الدولي الذي وصف بنظام الأحادية القطبية، إلا أن العرش بدأ يهتزّ قليلًا ببروز قوى أخرى، سواء أكانت في شكل دول منفردة أم منظمات واتحادات إقليمية، أخذت تنافسها على عرشها، وهو الأمر الذي دفع العديد من الباحثين إلى القول إن النظام الدولي يتجه نحو التعددية القطبية المجسَّدة في تنامي قوى صاعدة متعطشة للسيطرة على المناطق الإستراتيجية من العالم.

وإفريقيا بحكم ما تنعم به من مزايا اقتصادية وأخرى إستراتيجية تشكّل قِبلة أولية في سياسات وإستراتيجيات القوى الصاعدة التي تُعَدّ إيران إحداها، ولاسيّما في المرحلة الراهنة بعد توقيع الاتفاق النووي، وانطلاق إيران باتجاه تحقيق أهدافها وطموحاتها في أداء أدوار كبيرة إقليميًّا ودوليًّا.

* جامعة سكيكدة، الجزائر

Soft Extension of Rising Powers in Africa: An Iranian Model?

MOURAD CHAHMAT*

ABSTRACT: After the collapse of the SU, the U.S. emerged as the only power; however, this hegemony was questioned after the emergence of other powers, whether in the form of individual countries or regional organizations and unions. This matter pushed many researchers to argue that the international system is moving towards multi-polarity embodied in the rise of certain powers that strive to control strategic areas in the world. Africa, by virtue of what it enjoys from economic and strategic benefits makes it the main focus of the rising powers, and in particular Iran after signing the nuclear deal, and aiming towards achieving its objectives and ambitions to play a significant role regionally and internationally.

* University of Skikda, Algeria.

رؤية تركية
2016 - (5/2)
115 - 103

ظلّت إفريقيا عبر التاريخ مثار اهتمام القوى الدولية، فضلًا عن القوى الإقليمية، فكانت بداية محلّ اهتمام القوى الأوربية –مع بداية تنافسها على امتلاك الأراضي فيما وراء البحار– ثم شكلت القارة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية محور استقطاب بين المعسكرين الغربي والشرقي، ثـم صارت القـارة بنهاية الحرب الباردة وسـقوط المعسـكر الأخير، بالإضافـة إلى التحديات التـي عرفها النظام الدولي الجديـد– محور تنافس القوى الدولية، وأبـرزه التنافس الأمريكي– الفرنسي–الصينـي، فضلًا عن تنافس بعض القوى الإقليميـة الصاعدة التي تتقاطع مصالحها في مجالات حيوية عديدة، ومن بينها إيران.

وبحكم تداخل العلاقات الدولية وصعوبة التمييز بين ما هو داخلي وخارجي، سعت الـدول إلى أن تكـون لها مكانة في مختلف الأقاليم، وعلى رأسـها تلك المتضمنـة مزايا اقتصادية وإستراتيجية عالية، وهذا ما يدفع بالدول للامتداد خارج محيطها القومي والإقليمي، ويجعلها في تنافـس دائم للسـيطرة على هذه المناطق من العالم، ويزداد هـذا التنافس بين القوى التقليدية والقوى الجديدة.

وتُعَدّ إيران إحدى القوى الصاعدة التي تسـعى للتنافس خارج الإقليم الآسيوي، وكانت قارة إفريقيا أحد الأقاليم المهمّة في إستراتيجياتها، للميزات الاقتصادية الهائلة التي تتمتع بها.

و بنـاء عـلى ذلك يهدف هذا المقال إلى البحث في هدف إيران من التوجه نحو إفريقيا وأهم المميـزات التي تتمتع بها القارة الإفريقية، وتجعلها محل تنافس للقوى الصاعدة، والكيفية التي ترجمـت خلالها السياسـات الإيرانية أهمية إفريقيا في توجهها نحـو أداء أدوار دولية، إضافة إلى استعراض أهم القوى المنافسة لإيران في امتدادها نحو إفريقيا.

ومـن أجـل التوصل لتناول الإشـكالية والتسـاؤلات المتعلقة بعمق وُضِعـت ثلاثة محاور رئيسـة لها، هي أهمية إفريقيا في سياسـات القوى الصاعدة، الامتداد الإيراني الناعم في إفريقيا والقوى المناوئة للامتداد الإيراني الناعم في إفريقيا.

أهمية إفريقيا في سياسات القوى الصاعدة

فـرض العقـد الأخير من القـرن العشرين وبدايـات القرن الواحـد والعشرين تغيرات عديـدة، سـواء أكان على مسـتوى بنية النظام الدولي أم على مسـتوى الفاعلـين وأدائهم، وهذا فتـح النقـاش حول إمكانية تغيّر في هيكله من نظام القطب الواحـد إلى نظام التعددية القطبية، إذ أصبحـت الدولـة بمفردها لا تقـوى على مواجهـة التهديدات والتحديـات الجديدة ، وهو مـا أدى إلى ظهـور دور بعـض الدول الفاعلة لضبـط التفاعلات على مسـتوى الأقاليم، وهذا فتـح المجال باتجاه الحديث عن بروز القوى الإقليمية أو القوى الصاعدة، التي صارت تنافس القـوى الدوليـة التقليدية في أقاليم خارج إطارها الجغرافي، نظرًا لأهمية هذه الأقاليم في رسـم سياسـاتها الخارجية وإسـتراتيجياتها المسـتقبلية، وتُعَـدّ إفريقيا بما تحمله من مزايا وإشـكالات قارة مسـتقطبة للقوى الإقليمية والدولية على حد سواء، وبخاصة في ظل بروز قضايا الاهتمام المشـترك، كتلـك المتعلقة بأمـن الطاقـة والأمن البيئـي والأمـن الغذائي والأمن الإنسـاني... وتدويـل مفهوم السـيادة، وهذا أدى إلى بروز العلاقات بـين الأقاليم، وصعوبة التمييز بين ما هو وطني وإقليمي ودولي.

و لكـون إفريقيـا لهـا بـاع كبير من هـذه القضايـا فهي تأخـذ جانبًـا مهمًّا في كل سياسـات وإسـتراتيجيات القـوى الكـبرى، على غرار القـوى الصاعدة، من عدة أبعـاد، يمكن رصدها كما يأتي:

1. البعد الاقتصادي

مـن ميـزات القوى الصاعدة الوتيرة المتزايدة في اقتصادياتها، وهو ما يحتم عليها البحث عـن مصدر جيـد لوارداتها الطاقوية، والمواد الخام اللازمة لصناعاتها، إلى جانب إيجاد أسـواق تُـروِّج من خلالها بضائعهـا، وهذا يجعل اقتصادها دائمًا في حالة انتعـاش، وتُعَدّ إفريقيا في هذا الإطـار قـارة غنيـة جدًّا بالمـواد الأولية التي لم تسـتغلّها شـعوبها، وهـي بذلك تجسـد المفارقة التناقضية: غنى القارة من جهة، وفقر شعوبها من جهة أخرى.

أمـا مـن حيـث مـادة اليورانيـوم المهمّة جدًّا في الصناعات النووية فـإن إفريقيـا تسـهم بأكثـر مـن 18% من إجمالي الإنتاج العالمي، وتسـتحوذ القـارة علـى ثلـث الاحتياطي العالمي من اليورانيوم

فمن حيث النفط تمتلك القارة نحو 124 مليار برميل مـن احتياطي النفـط؛ أي نحو 12٪ من إجمـالي الاحتياطي العالمي، وفي سنة 2011 أنتجت القارة 9،4 مليار برميل من البترول، وتنتـشر هذه القدرة الطاقوية عـلى معظم الأقاليم الإفريقيـة، وبالضبـط في كل من ليبيـا، ونيجيريا، والجزائر، ومصر، وأنغولا، وغينيا الاستوائية، والسودان، والكونغو، والغابـون، إلى جانب جنـوب إفريقيا[1]، وتُعَـدّ منطقة غرب إفريقيـا الأهم في إنتـاج النفط في القـارة، تتصدرها نيجيريا باحتياطي قـدره 36 مليار برميل، تليهـا غينيا الاسـتوائية باحتياطي قدره نصف مليـار برميل، أما احتياطـي الغابون فيبلغ 1،9 مليـار برميل، والكامـيرون ــ85 مليون برميل، أما في شـمال إفريقيا فيبلـغ احتياطي ليبيا 40 مليـار برميل، واحتياطي الجزائر 12،4 مليـار برميل، ومصر 2،7 مليار برميل، في حين بدأت تشـاد في منطقة وسـط إفريقيا بإنتاج النفط سـنة 2003، الذي يُصدَّر عبر الكاميرون، هذا إلى جانـب كونغو برازافيل، والكونغو الديمقراطية[2]، وتنتـج إفريقيا أيضًا 22 مليون قدم مكعب من الغاز الطبيعي يوميًّا، وباحتياطي 477 ترليون قدم مكعب، وتمتلك أكبر مخزون من الطاقة الشمسية، إذ تقوم على أكبر الصحاري وأوسعها في العالم.[3]

أما من حيث مادة اليورانيوم المهمّة جدًّا في الصناعات النووية فإن إفريقيا تسهم بأكثر من 18٪ من إجمالي الإنتاج العالمي، وتسـتحوذ القارة على ثلث الاحتياطي العالمي من اليورانيوم، الـذي تنتجـه أربـع دول إفريقيـة من أصل سـبع عشرة دولـة في العـالم، ويُعدّ كل مـن ناميبيا، وجنوب إفريقيا، والنيجر أبرز الدول المنتجة لهذه المادة الطاقوية[4]، وبحسـب إحصائيات سـنة 2012 تعـدّ النيجـر رابع دولة منتجـة لليورانيوم عالميًّا، إذ تنتج 8٪ مـن الإنتاج العالمي، تليها ناميبيا التي تتبوّأ المرتبة الثامنة عالميًّا، ثم جنوب افريقيا التي تأتي في المرتبة الحادية عشرة بنسـبة 5٪، وانضمت مالاوي إلى هذا التجمع سنة 2009، والتحقت بها تنزانيا سنة 2013 في إنتاج اليورانيـوم، ويُتوقَّـع لها أن تتجـاوز كندا ثاني منتج عالميًّا، وهناك عدة مناطق في مصر اكتُشِـف فيها هذا المعدن الثمين.[5]

أمّـا مـا يخص الذهب فقـد أنتجت القارة في عام 2008 نحـو 483 طنًّا؛ أي ما يمثل 25٪ من إجمالي إنتاج العالم، وتتربع دولة جنوب إفريقيا على عرش الذهب في القارة، من دون إهمال كل مـن غانا، وغينيا، ومالي، وتنزانيا، أما حجم الاحتياطي فقد بلغ 50٪ من إجمالي الاحتياط العالمـي، كـما تنتج إفريقيا 80٪ مـن بلاتين العالم وباحتياطـي قدره 90٪، وتنتـج القارة أيضًا 40٪ مـن إجمـالي الإنتاج العالمي من مادة الألماس، ويأتي كل من بوتسـوانا، وأنغولا، وجنوب إفريقيـا، والكونغو الديمقراطيـة، وناميبيا على رأس الدول المنتجة لهـذه المادة الثمينة، وتمتلك 95٪ من احتياطي الألماس عالميًّا.[6]

وفي المجال الزراعي تضم القارة الإفريقية 35٪ من الأراضي الصالحة للزراعة من أصل مساحة كلية تقدر بـ33 مليون كم مربع، فهي ثاني قارة في العالم مساحة بعد آسيا، ويشكل القطاع الزراعي قطاعًا مهمًّا جدًّا في اقتصاديات الدول الإفريقية، إذ يعتمد 70٪ من سكانها عليها من أجل تحسين مستوى المعيشة، وبوصفها مصدرًا للعمل والدخل، فضلًا عن أن نمو الإنتاجية الزراعية عامل ضروري من أجل تحفيز النمو في قطاعات الاقتصاد الأخرى. والذي يؤكد ويدعم أهمية القارة في هذا المجال دراسة أعدّتها منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة التي أفادت أن استغلال 10٪ فقط من سهل غينيا العشبي في الزراعة الذي يغطي نحو 600 مليون هكتار والممتد من السنغال إلى جنوب إفريقيا- من شأنه حلّ أزمة الغذاء في إفريقيا، وبخاصة أن القارة تعرف تنوعًا مناخيًّا وجيولوجيًّا يساعد على تنوع المحاصيل الزراعية[7]، وهذا الذي يجعل إفريقيا بيئة خصبة للاستثمار الفلاحي، ومركز جذب للقوى الصاعدة، في ظل توفر قوة بشرية هائلة، إذ يقدر حجم السكان في إفريقيا بأكثر من مليار نسمة، بحسب إحصائيات عام 2012، وتمثل نسبة الشباب 70٪ منهم.

لأجل هذا تشكل إفريقيا أفقًا اقتصاديًّا واعدًا، ولاسيّما في ظل المعطيات المبشرة بتنامي معدلات النمو، حيث يتوقع أن تسهم إفريقيا بنسبة 1،5٪ من الناتج المحلي الإجمالي العالمي سنة 2034.

2. البعد السياسي والإستراتيجي:

رغم التحديات التي تتسم بها إفريقيا، المتمثلة في توسع نظم الحكم الديكتاتورية، مقابل بروز حركات شعبية واسعة داعية إلى الحكم الديمقراطي، وهو ما من شأنه أن يولّد العنف والاضطرابات السياسية، وتنامي الظاهرة النزاعية، وارتفاع نسبة الفساد[8]– تبقى القارة محور توازن، إذ تعمل على خلق التوازنات، وإيجاد بديل للتفاوض بين القوى عبر الأقاليم، ولاسيّما في ظل التجاذبات العالمية، وهو ما تجسد في شبكة العلاقات والزيارات بطابعها الرسمي على مختلف المستويات، فضلًا عن العلاقات التبادلية بين المؤسسات والمنظمات الإقليمية، كتلك التي تجمع الاتحاد الإفريقي مع مختلف المنظمات الإقليمية والدولية الأخرى، وعلى رأسها منظمة الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي وغيرهما، بالإضافة إلى الاستفادة من أصوات القارة في المحافل الدولية.

ترتكز إيران في تغيير سياستها الخارجية على نمط التغيير البرامجي الذي ينصرف إلى تغيير أدوات السياسة الخارجية وأساليبها من دون المساس بأهدافها وغاياتها العليا

و يعدّ البعد الاقتصادي بما تضمنه من الميزات المذكورة سابقًا للقارة الإفريقية هدفًا مركزيًّا في تزايد أهميتها على المستوى الدولي، وتنامي علاقاتها بالدول والأقاليم الأخرى، بالإضافة إلى تنامي ظاهرة التضامن بين الأقاليم التي تعيش وتتشارك الأزمات نفسها، التي تصل في أحيان عديدة إلى مستوى المآسي، كتلك القضايا المرتبطة بالتهديدات الأمنية وعدم الاستقرار المجتمعي.

الامتداد الإيراني الناعم في إفريقيا

إن الوجود الإفريقي في السياسة الخارجية الإيرانية كان محتشمًا جدًّا، لكنّه بدأ يبرز مع بداية القرن الحادي والعشرين، في ظل فترة حكم أحمدي نجاد، الذي ترجم هذا الاهتمام إلى اتفاقيات اقتصادية، وتبادل الزيارات الرسمية على مستوى عال، ويؤكد ذلك أن إيران تمتلك سفارات في معظم الدول افريقية.

1. أهداف إيران من وجودها في إفريقيا

ترتكز إيران في تغيير سياستها الخارجية على نمط التغيير البرامجي الذي ينصرف إلى تغيير أدوات السياسة الخارجية وأساليبها من دون المساس بأهدافها وغاياتها العليا.[9] وتوجّهها نحو إفريقيا محاولة لكسر الحصار الدولي والعزلة اللذين فرضهما القوى الغربية

عليها، ونتيجة الضغوط المفروضة عليها في المنظمات الدولية، بسبب برنامجها النووي، ولهذا تعمل إيران على زيادة نفوذها في دول الأطراف، وإيجاد دعم لها خارج المنظومة الغربية، بل ومحاصرة امتداد هذه الأخيرة بمختلف القوى الممثلة لها في إفريقيا، مستندة إلى الرغبة في إنشاء نظام دولي جديد أساسه العدل، يعتمد على دول عدم الانحياز، والدول المعادية للسياسة الغربية[10]، ومثال ذلك بناء علاقات مع زمبابوي في ظل حكم روبرت موغابي المعادي للغرب، وهو ما أكده اللقاء الذي جمع بين رئيسي الدولتين سنة 2006، وتدعيم التعاون الاقتصادي بين البلدين، وفق ثنائية النفط مقابل اليورانيوم.[11]

من خلال بحثها الدائم للحفاظ على برنامجها النووي وتطويره، تسعى إيران إلى عقد الصفقات اللازمة للحصول على المواد الخام اللازمة لمثل هذه الصناعات، ولذلك تعمل جاهدة لتوطيد علاقاتها بالدول الإفريقية الغنية بمادة اليورانيوم

فمن خلال بحثها الدائم للحفاظ على برنامجها النووي وتطويره، تسعى إيران إلى عقد الصفقات اللازمة للحصول على المواد الخام اللازمة لمثل هذه الصناعات، ولذلك تعمل جاهدة لتوطيد علاقاتها بالدول الإفريقية الغنية بمادة اليورانيوم، ولاسيّما أن بعض المحلّلين الغربيين يضعون احتمالية قرب نفاذ اليورانيوم لدى إيران.

كما تهدف إيران من حضورها في إفريقيا إلى الترويج لنموذجها السياسي، والاجتماعي، والديني، وبخاصة في كل من نيجيريا والسنغال اللتين تضمان أكبر عدد من المسلمين، لنشر مبادئ المذهب الشيعي وقيمه، كما تستفيد إيران من وجودها ضمن منظمة المؤتمر الإسلامي،

كمـا تهدف إيران مـن حضورها في إفريقيـا إلى الترويج لنموذجها السياسـي، والاجتماعي، والديني، وبخاصـة فـي كل مـن نيجيريـا والسـنغال اللتيـن تضمـان أكبـر عدد من المسـلمين، لنشر مبادئ المذهب الشيعي وقيمه

وهذا سـاعدها على ربط العديد من العلاقات، كالتي جمعتها بموريتانيا سـنة 2010، ودُعّمت باللقاء بين رئيسي البلدين سـنة 2011، أعلـن خلاله الرئيس الموريتـاني دعمه لإيران، وحقها في امتلاك الطاقة النووية السلمية، واتفقا على التعاون الاقتصادي القائم على المنفعة المتبادلة للطرفين.

إلى جانـب ذلـك تسـعى إيـران إلى تحقيـق مكاسـب اقتصادية خاصـة، لأن القارة غنية بالمـواد الطاقوية كالنفط، والغـاز، وكذا المعادن، كما تعـدّ أرضًا واعدة للمنتجات الفلاحية، بالإضافة إلى المنافذ البحرية والنهرية التي تؤدّي دورًا مهمًّا في التجارة العالمية.

2. وسائل تنفيذ السياسات الإيرانية في إفريقيا

بالنظـر إلى طمـوح إيـران في القارة الإفريقيـة يتبين أن الأسـاس الذي ترسـم عليها إيران سياساتها في القارة تتمحور حول نقطتين أساسيتين، هما:

– **النشـاط الدبلوماسي**: ويتجسد في الزيارات الرسمية، ونشر أكبر عدد ممكن من البعثات الدبلوماسية، ففي سنة 2009 نظّمت إيران زيارات على مستوى الوزراء وكبار المسؤولين إلى عشريـن دولـة إفريقية، نذكـر منها موريتانيـا، وغامبيا، والسـنغال، وغينيـا، وبوركينا فاسـو، وغانا، ونيجيريا، والسـودان، وأريتريـا، وأوغندا، وكينيـا، والكونغو، ومالاوي، وزمبابـوي، وجنـوب إفريقيـا[12]، وأسـاس تفاوض إيران مـع الدول الإفريقيـة هو ربطها الصفقات التجارية بالتسـويات السياسـية، بضمان وقوف الـدول الإفريقية إلى جانبها، أو على الأقل عدم الموافقة على إدانتها في أثناء التصويت في المنظمات الدولية بشـأن قضايا تهمّ إيـران، وعلى رأسـها ملفها النووي، وقضايا حقوق الإنسـان، ومثال ذلـك امتناع جنوب إفريقيـا عن التصويت في الجمعية العامة للأمم المتحدة على انتهاك إيران لحقوق الإنسـان، وتصويتها في الوكالة الدولية للطاقة الذرية ضد إحالة البرنامج النووي الإيراني على مجلس الأمـن، وذلك بحكـم صفقة تجارية جمعـت البلدين انتهـى مفعولها بتوقيع الاتفاقية سـنة 2006، بعدهـا عـادت جنوب إفريقيا إلى مسـاندة فرض القيود عـلى الطموحات النووية الإيرانيـة، وهو نفس الموقف الذي اتخذته إلى جانب المغرب، وليبيريا، وتوغو مقابل تحفظ جميع دول غرب إفريقيا والدول الإفريقية الأخرى على قرار الأمم المتحدة ضد إيران في ما ارتبط بأزمة الانتخابات الرئاسية سنة 2009.[13]

– **المجـال الاقتصـادي**: برزت العلاقات الاقتصادية في عقـد الصفقات، وبناء مشروعات تجارية صغيرة ومتوسطة، فقد بلغ حجم صادرات النفط الإيرانية إلى إفريقيا جنوب الصحراء سـنة 2010 ما قيمته 3،60 مليار دولار، بالمقارنة مع 1،36 مليار دولار سـنة 2003، وتعدّ

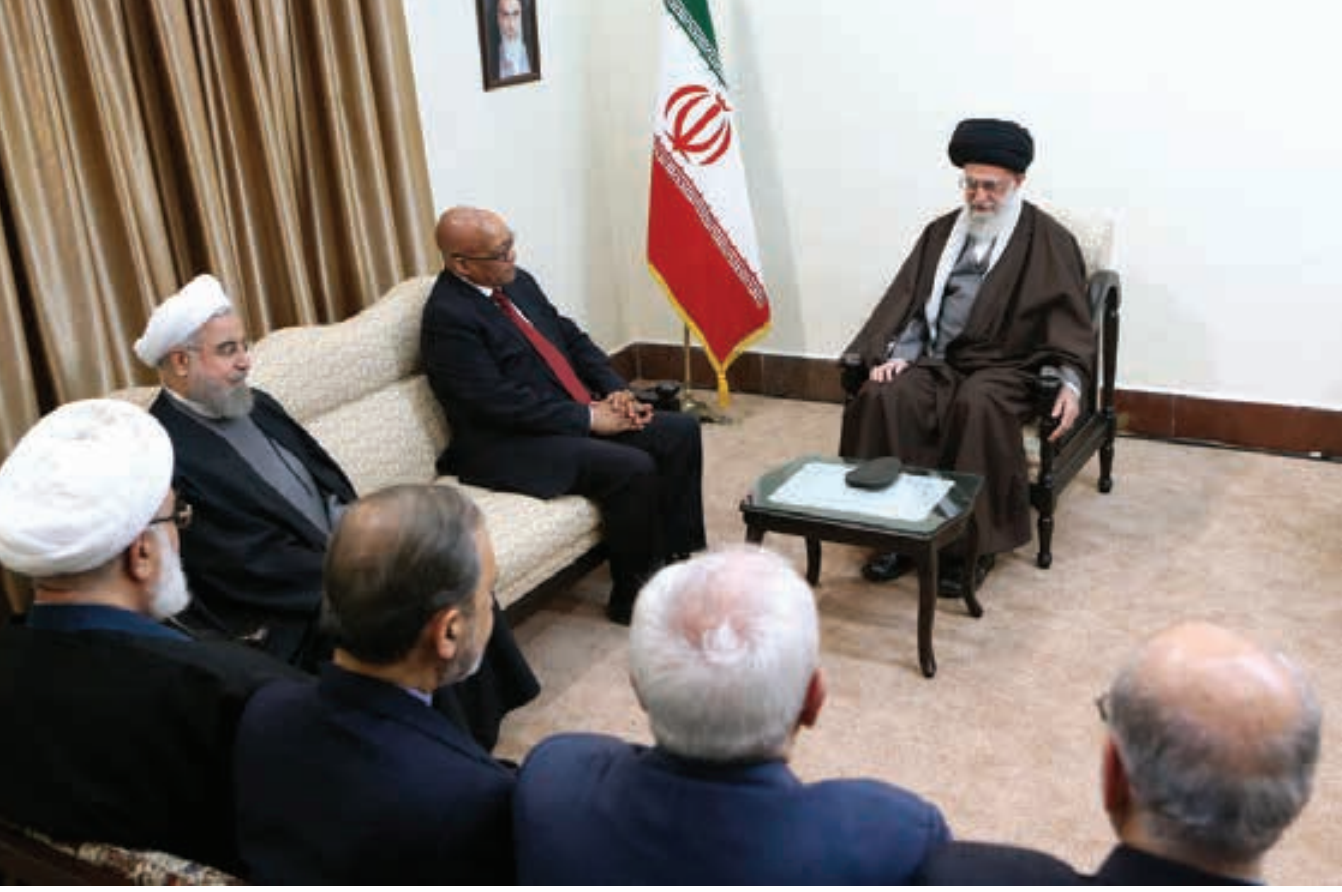

إيران المموّل الأساسي للنفط الخام إلى جنوب إفريقيا، ومن الأمثلة الأخرى على تنامي حجم العلاقات الاقتصادية مع بعض الدول الإفريقية ازدياد التبادل التجاري بين إيران ودولة غينيا سنة 2010 بنسبة 140٪، وذلك منذ اكتشاف معدن اليورانيوم بغينيا سنة 2007، بالإضافة إلى ذلك افتُتحت فيها فروع لشركة خودرو الإيرانية لإنتاج السيارات، كما أن إيران أقامت مشروعات في مجال الطاقة الكهربائية، مع بعض الدول، كنيجيريا، والسنغال، وسيراليون، وبنين، ومالي.[14]

المجال الأمني: أثّر دعم إيران بعض الحركات الانفصالية في إفريقيا بشكل كبير في صورتها في القارة وفي اتجاه تحركها، ففي سنة 2011 قطعت السنغال علاقتها بإيران بعد تقرير مقدّم من رئيس أركان الجيش السنغالي يفيد أن إيران مدت الانفصاليين في منطقة كاسامانس بالسلاح، رغم مجموع العلاقات الاقتصادية التي جمعت البلدين سنتي 2007/ 2008، وقبل ذلك في سنة 2010 قطعت غامبيا علاقاتها بإيران بعد كشف نيجيريا حاوية أسلحة قادمة من إيران باتجاه غامبيا عبر أراضيها[15]، وفي هذا الصدد أشار تقرير ميداني أعده مركز بحوث تسليح الصراع، بالتعاون مع العديد من المؤسسات ما بين سنتي 2006–2012– إلى أن أربع حالات فقط –من بين أربع عشرة حالة كُشِف فيها عن وجود أسلحة إيرانية– كانت مع الحكومات، والحالات العشر الباقية كانت مع جماعات غير نظامية.[16]

كـما تعمـل إيـران على تدعيـم سياسـاتها في إفريقيا من خـلال نشر قيمهـا ومبادئها؛ بل ونشر فلسفتها، من خلال إقامة مراكز ثقافية، وعقد مؤتمرات وتنشيطها، على غرار مؤتمر سبتمبر 2010 عن العلاقات الإيرانية الإفريقية، ضم كبار المسـؤولين من رؤسـاء دول ودبلوماسـيين، ورجال أعمال، وقادة فكر من خمسين دولة إفريقية.

وتشهد العلاقات الإيرانية الإفريقية في الفترة الحالية نوعًا من التراجع، بسبب الأوضاع في منطقة الشرق الأوسط، ولاسيّما الحرب التي تدور رحاها في كل من سوريا، واليمن، والعراق، وهـي كلهـا دول تشـكل ركيزة في السياسـة الخارجية الإيرانيـة، إضافة إلى أن المرونـة الغربية في التعامـل مع الملف النووي الإيـراني، ورفع الحصار الاقتصادي عنهـا جعلاها توجه أنظارها في توطيـد علاقاتها إلى مجالات جغرافية أخـرى بعيدًا عن إفريقيا، وبخاصة في ظل قطع العديد من العلاقات الدبلوماسية التي جمعت إيران ببعض الدول الإفريقية، فضلًا عن وقف العمل ببعض الاتفاقيـات التجارية، على غرار ما فعلت جنـوب إفريقيا التي قطعت وارداتها النفطية من إيران سنة 2012؛ استجابة للعقوبات الدولية، لكن يبقى سعي إيران باتجاه تطوير مشروعها النووي عاملًا فعالًا في عودتها بقوة نحو إفريقيا الغنية بمعدن اليورانيوم، الذي يعدّ أساس هذه الصناعة، ولاسـيّما في ظـل بـروز دول إفريقية جديـدة غنية بهذه المـادة إلى جانب النيجـر المصنفة في المرتبة الرابعة عالميًّا.

القـوى المنـاوئة للامتـداد الإيرانـي النـاعـم فـي إفـريقيـا

لا يخفى أن الامتداد الإيراني في إفريقيا يشوبه العديد من العراقيل والمعوّقات، منه ما يرتبط بالداخل الإيراني في حدّ ذاته، ومنه ما يرتبط بالمحيط الدولي، فضلًا عن منافسـة القوى الأخرى لها في القارة، سواء الإقليمية منها، أو الدولية.

1. القـوى الإقـليـميـة: تركـيـا وإسـرائـيـل

تعدّ تركيا وإسرائيل من الدول المنافسة لإيران إقليميًّا، وبخاصة في منطقة الشرق الأوسط، وأقاليم أخرى تشـكل بعدًا إسـتراتيجيًّا في سياسـات كلتا الدولتين، وعلى هذا الأسـاس تعمل الدولتـين على صـدّ أي امتداد إيـراني؛ لعلمهما بمدى خطورة ذلك عـلى توجهاتهما ومصالحهما، ولاسيّما أن إيران لها من المقومات الاقتصادية والسياسية والعسكرية وكذا القيمية ما يؤهلها لأداء أدوار مهمّـة إقليميًّا ودوليًّا، وما توجهها نحو إفريقيا إلا دليل واضح على رغبتها في الخروج من القوقعة التي حاولت الولايات المتحدة الأمريكية تجميدها داخلها لسنوات عديدة، ولهذا تعمل كل من تركيا وإسرائيل على:

- خلق مصالح متقاطعة مع دول الخليج التي ترى في إيران عدوًّا تجب مجابهته.
- خلـق بؤر توتـر في المحيط الإقليمـي الإيراني، بحيث يؤدي إلى انشـغالها عـن الأقاليم الأخرى.
- التوجه نحو إفريقيا بمشروعات اقتصادية منافسة.

تعدّ تركيا وإسرائيل من الدول المنافسة لإيران إقليميًّا، وبخاصة في منطقة الشرق الأوسط. وأقاليم أخرى تشكل بعدًا إستراتيجيًّا في سياسات كلتا الدولتين، وعلى هذا الأساس تعمل الدولتين على صدّ أي امتداد إيراني

وما ساعد تركيا على تنفيذ أهدافها في القارة الإفريقية هو امتدادها التاريخي فيها، فالخلافة العثمانية سيطرت على منطقة شمال إفريقيا، وكذا القرن الإفريقي ما بين سنتي 1536–1912م، فالرغبة في استرداد أمجاد الأمس لا تزال تختلج في صدر تركيا، ولاسيّما بعد وصول حزب العدالة والتنمية إلى السلطة بقيادة أردوغان، وعليه صارت تركيا تتطلع إلى أداء أدوار محورية في السياسات الدولية، وتقوية وجودها وتعزيزه، وهو ما جعلها تعمل بجدّ على تنمية اقتصادها و البحث عن مراكز للطاقة والمواد الخام ما يدعم توجهها نحو إفريقيا لتكون منافسًا يُعتَدّ به في القارة، وتجسّد هذا التوجه في تركيا في وثيقة "السياسة الإفريقية" سنة 2008، وإعلانها عام 2005 "عام إفريقيا"، إذ حظيت تركيا بصفة مراقب في الاتحاد الإفريقي، وبعضو غير إقليمي في بنك التنمية الإفريقي، وعضو في منتدى إيغاد IGAD، ومشاركة السفارة التركية في الأكواس، وفي تجمع شرق إفريقيا، ودعم عمقها الإستراتيجي في القارة، الذي تنامى بالزيارات التي قادت رئيس وزرائها آنذاك رجب طيب أردوغان إلى العديد من الدول الإفريقية، تلتها الجولة التي قام بها الرئيس عبد الله غول في مارس 2010[17]، وإلى جانب الصفقات التجارية تحافظ تركيا على سياسة المساعدات المالية لأهداف إنسانية، وهي المبادرة التي تقدمت بها سنة 2008، بحدود 3،5 مليون دولار أمريكي لكل من السودان، وأثيوبيا، وتشاد، والكونغو، وكينيا، وأوغندا، والصومال، ومدغشقر، وملاوي.

وانطلاقًا من هذه السياسات تتضح دوافع تركيا من التوجه نحو إفريقيا، ممثلة في دافع التوازن الحضاري، والدافع الإستراتيجي، إلى جانب الدافع الاستخباري والسياسي، فضلاً عن الدافعين الاجتماعي والثقافي[18]، وكلها دوافع تجعل من تركيا منافسًا قويًّا في القارة الإفريقية بحكم أهمية هذه الأخيرة لتركيا.

أما إسرائيل فارتباطها بإفريقيا بدأ منذ ستينيات القرن العشرين، ومرّ بانتكاسة بعد حرب أكتوبر 1973، ثم عادت العلاقات من جديد مع اتفاقات أوسلو 1993، وزاد الاهتمام بالقارة بعد هجمات 11 سبتمبر 2001[19]، إذ تقيم إسرائيل علاقات دبلوماسية مع 46 دولة إفريقية من أصل 55 دولة، وتشكل البعثات الدبلوماسية الإسرائيلية في إفريقيا مقارنة ببعثاتها في العالم ما نسبته 48٪، وتعمل إسرائيل على التمركز في القرن الإفريقي؛ خوفًا من المد الإسلامي، وتحوله إلى منطقة نفوذ إيرانية–سودانية، وتعمل في إستراتيجياتها على دعم الديمقراطية والمجتمع المدني لتتخذه سبيلاً للنفوذ إلى المجتمعات الإفريقية، كما تعمد إلى تقديم المساعدات المالية من أجل كسب الدول الفقيرة لصالحها، إضافة إلى الشركات الأمنية.

أمّا أهداف إسرائيل من التوجه إلى القارة الإفريقية فتتمثل في الموقع الإستراتيجي لدولها، فهي تقوم على ممرات حيوية للتجارة الدولية، ومنافذ وموانئ بحرية مهمّة، إذ إنّ 20٪

مـن التجـارة البحرية الإسرائيليـة تمرّ أمام سـواحل القرن الإفريقي، ومن مضيـق باب المندب، وبالإضافـة إلى الإمكانـات الاقتصادية للقارة الإفريقية تهدف إسرائيل إلى خلق أسـواق جديدة لترويج منتجاتها[20]، كما تسـعى لتحقيق مكاسب سياسـية من خلال الحصول على شرعية دولية أكـبر، وفتح مجال للتحرك، وللحضور السـياسي الواسـع، كما تسـعى إسرائيل مـن وجودها في إفريقيا أيضًا إلى الحد من تغلغل القوى الأخرى، ومجابهة امتدادها في القارة، ولاسيّما إيران، على اعتبار أن إسرائيل ترغب في الحفاظ على تقدمها النووي في منطقة الشرق الأوسط.

2. القوى الدولية: الولايات المتحدة الأمريكية

في فترة ما بعد الثورة الإيرانية عرفت العلاقات الأمريكية الإيرانية قطيعة، بل حالة عداوة شـديدة، على أساسـها عملـت الولايات المتحدة الأمريكيـة على تقزيم إيـران، وصد كل محاولة لتقدمهـا؛ من خلال فرض عقوبات اقتصادية ثقيلة جـدًّا عليها، ومحاولة قطع مختلف العلاقات بـين إيران وباقي دول العـالم، وقد تفاقم هذا الوضع أكثر بعد بناء إيـران برنامجها النووي، وبدء العمل من أجل تطويره.

وقـد برز الوقـوف الأمريكي في وجـه أي محاولة إيرانية نحـو الصعـود وأداء أدوار إقليمية وأخـرى دوليـة في إفريقيا من خـلال عمل الولايـات المتحدة الأمريكية على تقديم مسـاعدات ومشروعـات اقتصادية ومالية أضخم من تلـك التي تقدّمها إيران، وذلك بهدف لجم أي محاولة لاستقطاب أطراف مؤيدة لها، إضافة إلى أن الوجود العسكري الأمريكي في القارة مستتب بشكل يسمح بإيقاف أي امتداد لجماعات مؤيدة لإيران.

الخاتمة

أدّت الجغرافيا السياسية لإيران دورًا مهمًّا في بلورة سياستها الخارجية ورسم إستراتيجياتها، فموقعها الجغرافي المحاط بمجموعة من القوى المؤثرة فرض عليها ضرورة الاندفاع نحو الأمام، واستغلال كل الفرص الممكنة، حتى تلك المستحيلة؛ لتكون هي صانعة الحدث لا موضوعًا له، فمـن جهة هناك الجارتان باكسـتان والهند النوويتان إلى جانـب إسرائيل، ومن جهة أخرى هناك تركيا الطامحة لأداء دور المهيمن الإقليمي في المنطقة، هذا من دون إهمال منطقة الخليج وما تشكله من تحدٍّ حقيقي لإيران، سواء من الناحية العسكرية والسياسية أم من الناحية الاقتصادية، فضلًا عن البعد الديني في إطار الصراع بين المذهبين السُّني والشِّيعي.

كـما أن محيـط إيران المتوتر والمليء بالنزاعات والأزمات، شـكّل دافعًا نحو ضرورة التوجه خـارج الدائرة الإقليمية باتجاه أقاليم أخرى؛ لضمان فرص للمراوغة، وموضوعات للتفاوض، وقد اسـتطاعت إيـران الامتداد خارج إقليمها باتجاه إفريقيـا، في محاولة لدعم برنامجها النووي بدرجـة أولى، وخلق موالين لها في القارة بدرجـة ثانية، إلا أن ضعف دول القارة لم يجعل إيران تستفيد بشكل جيد منها في مواقفها الدولية، وبخاصة ما ارتبط بملفها النووي وقضايا حقوق

الإنسان، هذا من جهة، ومن جهة أخرى شدة المنافسة الدولية في القارة الإفريقية، وخضوع دولها لقوى دولية أخرى لظروف تاريخية، أو لارتباطات أمنية وأخرى اقتصادية تحول دون تنفيذ إيران أهدافها في القارة، إلا أن الاتفاق النووي الأخير من شأنه أن يعطي إيران أريحية في علاقاتها الإقليمية والدولية مستقبلاً.

الهوامش والمراجع

1. علاء الدين السيد: "إفريقيا...ثروات بلا حدود"، في الموقع:
http://www.sasapost.com
2. "خريطة توزيع النفط الإفريقي"، إفريقيا قارتنا، العدد الخامس، ماي/ مايو 2013، في الموقع:
http://www.sis.gov.eg
3. "إفريقيا...ثروات اقتصادية هائلة"، إفريقيا قارتنا، العدد الخامس، ماي/ مايو ، في الموقع:
http://www.sis.gov.eg
4. علاء الدين السيد: مرجع سابق.
5. "انتاج اليورانيوم في إفريقيا"، إفريقيا قارتنا، العدد السادس،جوان /يونيو 2013، في الموقع:
http://www.sis.gov.eg
6. علاء الدين السيد: مرجع سابق.
7. "الزراعة في إفريقيا"، إفريقيا قارتنا، العدد السابع، سبتمبر 2013، في الموقع:
http://www.sis.gov.eg
8. "إفريقيا وحلم التنمية"، قراءات إفريقية، العدد 15، جانفي/ يناير- مارس 2013، ص3.
9. شحاتة محمد ناصر:" السياسة الخارجية الإيرانية في عهد الرئيس حسن روحاني"، دراسات إستراتيجية، ط1) أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، العدد 191 ، 2014(ص12.
10. محمد سليمان الزواوي: "إيران في إفريقيا... البحث عن موطئ قدم"، قراءات إفريقية، العدد 15،جانفي/ يناير- مارس 2013، ص27.
11. المرجع السابق، ص35.
12. المرجع السابق، ص29.
13. إيران في إفريقيا... اختراقات وإخفاقات، في الموقع: الأزمة ارتبطت بالعنف الذي يمارسه النظام الإيراني ضد أنصار الحركة الخضراء.
http://alburhan.com
14. المرجع السابق.
15. محمد سليمان الزواوي: مرجع سابق ، ص31.
16. إيران في إفريقيا... اختراقات وإخفاقات، في الموقع:
http://alburhan.com
17. محمد سليمان الزواوي: أبعاد الدور التركي في إفريقيا وآفاقه، قراءات إفريقية في الموقع:
www.qiraatafrican.com
18. عبد السلام إبراهيم بغدادي: "البعد الإفريقي في السياسة التركية المعاصرة"، دراسات دولية) بغداد، مركز الدراسات الدولية بجامعة بغداد،العدد 50: 2011(ص. ص،19،12
19. حمدي عبد الرحمن حسن: إسرائيل وقوتها الناعمة في إفريقيا، في الموقع:
http://www.somaliatodaynews.com
20. غازي دحمان: التغلغل الإسرائيلي في إفريقيا ومخاطره على الأمن العربي في الموقع:
http://www.aljazeera.net